

العتاب في سورة عَبَسَ

_ دراسة تحليلية _

**"The Reproach (Al-Itab) in Surah Abasa
An Analytical Study"**¹ وداد سلمان فلاح كاظم الحميري، وزارة التربية، كلية التربية المفتوحة _ مركز بابل، قسم التربية الاسلامية

تاريخ الاستلام: 2025/10/17 تاريخ القبول: 2025/10/26 تاريخ النشر: 2025/11/13

ملخص:

أن القرآن الكريم هو مصدر هداية للبشرية جمعاء، وبشكل خاص للمتقين. وتستند هذه الهداية إلى مجموعة من الأسس والمبادئ، ومن أبرز هذه الركائز التي تقوم عليها الهداية القرآنية، هو التركيز على ما يعود بالنفع على الإنسان سواء في دينه أو دنياه أو آخرته، مع الابتعاد عن الأمور الثانوية التي لا تمثل محوراً أساسياً لتحقيق هذا الهدف. ولهذا نجد القرآن الكريم عند ذكره للقصاص، يركز على المقاصد والغايات التي يسعى إلى تحقيقها، دون إعطاء تفاصيل الأسماء أو الأعداد أو الأماكن أو الأزمنة أهمية إلا بالقدر الذي يسهم في توجيه الإنسان نحو الهداية. وفي هذا البحث، يتم تناول مسألة تتعلق بمقام النبي، وما ينجم عن نسب الفعل المذكور في الآية الكريمة "عبس وتولى" من تأثيرات على الصعيد العقائدي والاجتماعي والأخلاقي. ومن هنا كان التركيز منصباً على تحديد الفاعل في هذه الآيات، لما له من أثر في اختلاف النتائج المترتبة على نسبته لهذا الطرف أو ذاك.

كلمات مفتاحية: عَبَسَ، الآيات، الاخلاق، أسباب النزول.

Abstract:

The Holy Qur'an is a source of guidance for all of humanity, and particularly for the righteous. This guidance is based on a set of principles and foundations, among which is the emphasis on what benefits the human being in matters of religion, worldly life, and the hereafter. The Qur'an avoids focusing on secondary matters that do not constitute a central objective of this guidance. Therefore, when the Qur'an mentions stories, it concentrates on the intended meanings and objectives, without giving

detailed importance to names, numbers, places, or times—except to the extent that such details contribute to guiding the human being toward righteousness.

This research addresses an issue related to the status of the Prophet, and the theological, social, and ethical implications that arise from attributing the action mentioned in the verse “He frowned and turned away” to a specific individual. Hence, the focus is placed on identifying the subject of the verb in these verses, as this determination significantly affects the conclusions drawn, depending on whether the act is attributed to one party or another.

Keywords: He frowned, verses, ethics, reasons for revelation.

مقدمة:

تُعتبر الآيات الأولى من سورة عبس من بين المواضع القرآنية التي أثارت جدلاً واسعاً بين العلماء والمفسرين، وقد شغلت هذه الآيات مساحة كبيرة من النقاش والجدال، نتيجة لاختلاف الرؤى حول شخصية “العابس” الوارد ذكره في مطلع السورة. فقد تعددت الآراء وتباينت الاجتهادات في تحديد من هو الشخص الذي عبس وأعرض، وما يترتب على تعيين هويته من دلالات وآثار عقائدية وتربوية واجتماعية وأخلاقية.

لقد انعكست هذه الآية بشكل مباشر على تصورات المتلقين حول صورة هذا “العابس”، حيث إن نسبته إلى شخصية النبي محمد (ﷺ) وهو الرأي الذي ذهب إليه جمهور مفسري أهل السنة - يثير إشكالات على المستوى العقدي، خصوصاً في ما يتعلق بمقام النبوة وعصمة الأنبياء، وقدرتهم على تمثيل القيم العليا في سلوكهم وتعاملهم. في المقابل، نجد أن المدرسة الإمامية كان لها رأي مخالف في تفسير هذه الآيات، حيث رفضت نسبة هذا الفعل إلى الرسول الكريم، وقدمت تفسيرات بديلة مدعومة بالأدلة النقلية والعقلية، تنزه النبي (ﷺ) عن كل ما يُحتمل أن يفهم على أنه تقصير أو إعراض عن المستضعفين من المؤمنين (1).

وانطلاقاً من أهمية هذا الخلاف، فإن بحثنا هذا يسلط الضوء على هذه الإشكالية التفسيرية الدقيقة، ويناقش المسألة من مختلف أبعادها، محاولاً الوصول إلى فهم أعمق وأشمل لمعاني السورة

¹ () محمد بن حبيب السبزواري، إرشاد الاذهان الى تفسير القرآن، ط1، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1999.

ومقاصدها، مع التركيز بشكل خاص على مفهوم العتاب الإلهي، سواء تم توجيهه إلى النبي أم إلى شخص آخر، وما ينطوي عليه ذلك من دلالات تربوية عظيمة.

يتكوّن هذا البحث من مبحثين، تناولنا في المبحث الأول المحور العام للسورة، وبيّنا من خلاله السياق العام للآيات وأسباب النزول المحتملة، اهداف سورة عبس ومقاصدها... أما في المبحث الثاني، فقد خصصناه في تفسير العتاب في سورة عبس و مناقشة آراء العلماء الناصبي لفعل العبوسة لرسول الله والمنافين له وبيان الأدلة بالنقد والتحليل، فقمنا بمقارنة الحجج، في محاولة للوصول إلى ترجيح علمي دقيق، لا يعتمد فقط على الانتماء المذهبي، بل يستند إلى قواعد الاستدلال الرصين والقراءة الموضوعية للنص القرآني.

وفي خاتمة البحث، عرضنا خلاصة ما توصّلنا إليه من نتائج، موضحين رأينا المرجّح في مسألة "العتاب في سورة عبس"، وأثر هذه النتيجة على فهمنا للرحمة النبوية ومقام النبوة، إضافة إلى ما تحمله السورة من رسائل تربوية وإنسانية عظيمة، لا تزال صالحة لتوجيه الأمة في تعاملها مع الفقراء وذوي الاحتياجات، وتأكيد مبدأ المساواة والكرامة الإنسانية في الرسالة الإسلامية.

مشكلة البحث

نُعَدّ مطلع سورة عبس من المواطن التفسيرية التي أثارت جدلاً واسعاً بين العلماء ودارسي التفسير، نظراً لورود عتاب إلهي دون الإفصاح صراحةً عن هوية المُعَاتَب. هل هو النبي محمد (ﷺ)، كما رجّح ذلك غالبية المفسرين، أم أن المقصود أحد المشركين الذين أداروا ظهرهم لدعوة الإسلام؟ ان هذا الغموض في تحديد الفاعل مسألة تتجاوز نطاق التفسير، لتلامس قضايا أصولية تتعلق بعصمة الرسول، وتُثير أبعاداً أخلاقية تتصل بأساليب التوجيه في الدعوة، فضلاً عن ما تحمله من دلالات بلاغية حول أسلوب العتاب في الخطاب القرآني.

من هنا تنشأ مشكلة هذا البحث، في محاولة إعادة قراءة الآيات في ضوء السياق الكلي للسورة، واستنباط الإشارات والدلائل اللغوية والأسلوبية التي تسهم في توضيح طبيعة هذا العتاب وغاياته، ومدى تأثير ذلك في فهم الرسالة المتكاملة التي تحملها السورة.

أهمية البحث

- 1- تقديم قراءة تفسيرية معاصرة لسورة عبس، تختلف عن الأساليب التقليدية في التفسير، مع محاولة ربط مضامينها بالواقع الاجتماعي والفكري للأمة الإسلامية اليوم.
- 2- الوصول إلى فهم عميق ومتوازن لآيات السورة الكريمة، من خلال دراسة تحليلية تُراعي السياق، واللغة، وأسباب النزول، ومقاصد الخطاب القرآني.

3- توجيه رسالة توعوية للدعاة وطلبة العلم، تُبرز ملامح الحكمة والرحمة في الخطاب الدعوي القرآني، وتحصّنهم من الوقوع في التأويلات السطحية أو المغلوطة التي قد تسيء إلى مقام النبوة.

4- دعم الخطاب الإسلامي المعتدل، عبر إبراز قيم التواضع والعدل والاهتمام بالمستضعفين، كما تجلّت في مضمون سورة عبس، مما يُسهم في بناء وعي دعوي وإنساني متزن.

فرضيات البحث

- 1- هل يمكن أن يكون العابس في مطلع السورة ليس النبي (ﷺ)، بل أحد المشركين الذين كان الرسول (ﷺ) يحاورهم ويدعوهم إلى الإسلام ؟
 - 2- ما الموانع النصية أو السياقية التي قد تحول دون قبول هذا الرأي؟ وهل توجد قرائن لغوية أو تركيبية تدعم أو تنقض هذا الاحتمال ؟
 - 3- هل يسعنا، من خلال تحليل السياق العام للآيات، أن نستنبط مؤشرات تؤيد فرضية توجيه العتاب إلى غير النبي (ﷺ) ؟
 - 4- ما المنهج الأنجح لتحديد مرجع الضمائر الواردة في مطلع السورة ؟ وهل تساهم قواعد الاتساق النصي في توجيه الفهم نحو جهة معينة؟
 - 5- إلى أي مدى تتكامل محاور السورة، من أولها إلى آخرها، لتشكّل وحدة موضوعية تكشف عن طبيعة العتاب ومقصودة ؟ وهل لهذا التكامل دلالة على المخاطب الحقيقي؟
- منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على الأسلوب التحليلي، الذي يركز على تأمل الآيات سورة عَبَسَ، وتفسيرها في ضوء السياق والمعاني والأسباب التي أدت إلى نزولها. كما يناقش أقوال أهل العلم والمفسرين لفهم مضامين السورة بدقة، وربطها بالمقاصد العامة للقرآن الكريم. يتناول المبحث الأول من البحث التعريف بسورة عبس من حيث ترتيبها وموضوعها، ويفسر أهدافها التربوية والدعوية، ويبين الرسائل التي تحملها في سياق التعامل مع الفئات المختلفة في المجتمع، إلى جانب إبراز الأسلوب القرآني في صياغة العتاب بلغة راقية ومؤثرة.

أما المبحث الثاني، فيعرض وجهات النظر المختلفة حول مَنْ وُجّه إليه العتاب، حيث يرى بعض العلماء أن الخطاب كان موجهاً للنبي (ﷺ)، بينما يرى آخرون أنه موجّه لغيره. وتُناقش هذه الآراء تحليلياً، في ضوء ما ورد في كتب التفسير، مع مراعاة مكانة الرسول (ﷺ)، واللغة القرآنية المستخدمة. وقد خُتم البحث بعرض النتائج التي أظهرت أن العتاب في السورة جاء بأسلوب رحيم لا يمس مقام النبوة، بل يحمل توجيهاً تربوياً، ويعكس مدى عناية القرآن الكريم بالمستضعفين، وحرصه على ترسيخ قيم العدل والرحمة في الخطاب الدعوي.

المبحث الاول / المحور العام لسورة عَبَسَ

« الاسماء التي عرفت بها سورة عَبَسَ »

عُرفت هذه السورة باسم "عبس"، سواء في المصاحف، أو في مؤلفات التفسير، أو في السنة النبوية، وذلك بسبب ورود هذا اللفظ في أول آياتها⁽²⁾.

ويعتبر إطلاق هذا الاسم توقيفياً، إذ ورد عن ابن مسعود أنه قال: جاء رجل إليه فقال: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة، فرد عليه قائلاً: أهذا كما يُقرأ الشعر أو كما يُلقى التمر الرديء؟ لكن رسول الله (ﷺ) كان يقرأ النظائر، أي السورتين المتشابهتين، في ركعة واحدة. ثم ذكر في الحديث: "ويل للمطففين" و"عبس" في ركعة...⁽³⁾.

وقد عُرفت السورة بأسماء أخرى غير "عبس"، وجميعها اجتهادية، مثل: (سورة ابن أم مكتوم)، إلا أن هذا الاسم لم يرد إلا عند الإمام ابن العربي كما أُطلق عليها (سورة السفرة)⁽⁴⁾، و(سورة الصاخة)، وهو أحد أسماء يوم القيامة. كذلك سميت (سورة الأعمى) نسبةً إلى ابن أم مكتوم. ولعل هذه التسميات الثلاثة الأخيرة جاءت إما لأن هذه الألفاظ لم تذكر في سور أخرى، أو بسبب الشخص الذي كانت قصته سبباً في نزول السورة.

« هل سورة عَبَسَ مدنية أم مكية، وما هو ترتيب نزولها »

تعد سورة عبس من السور المكية، وقد أجمع علماء التفسير على ذلك، حيث يقول ابن عطية: "هي سورة مكية باتفاق أهل التفسير". أما فيما يخص ترتيب نزولها، فهي السورة الرابعة والعشرون، وقد نزلت بعد سورة (النجم) وقبل سورة (القدر). وتعد من أوائل السور الواقعة في وسط المفصل⁽⁵⁾.

« إجمالي آيات سورة عَبَسَ، وكلماتها، وحروفها »

يبلغ عدد آيات سورة عبس أربعين آية وفقاً للعدد الشامي، وإحدى وأربعين آية حسب رواية أبي جعفر والبصري، واثنين وأربعين آية وفق إحصاء الآخرين. ويعود سبب هذا الاختلاف إلى ثلاث آيات:

² () محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والطباعة، 1984، ص 101.

³ () سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين، كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، المكتبة العصرية، بيروت.

⁴ () محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، تحقيق: يوسف الغوش، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة، 2005.

⁵ () عبد الحق بن غالب ابن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 5.

”وَلَا نَعْمِكُمْ“ لم يُحصها البصري والشامي، بينما اعتبرها الآخرون، و”إِلَى طَعَامِهِ“ لم يدرجها أبو جعفر فقط، وأدرجها الآخرون وشيبة، و”فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ“ لم يحصها الشامي بينما أدرجها الباقون. أما عن عدد كلمات السورة فهو مائة كلمة، وعدد حروفها خمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً⁽⁶⁾.

« السبب وراء نزول سورة عبس »

وردت العديد من الروايات في سبب نزول سورة عبس، وجاءت هذه الروايات متفقة من حيث مضمونها الأساسي، وإن اختلفت في بعض التفاصيل، وقد أجمعت الروايات – رغم اختلاف صياغاتها – على أن الشخص الذي عبس هو الرسول (ﷺ) باستثناء رواية واحدة تشير إلى أن العابس كان رجلاً من بني أمية، وهذه الرواية تخالف ما أقره جمهور المفسرين بأن العابس هو الرسول (ﷺ). كما اتفقت الروايات كذلك على أن السورة نزلت بسبب عبد الله بن أم مكتوم الأعشى. وقد نقل الإمام الرازي إجماع المفسرين على أن الذي عبس وأعرض هو الرسول (ﷺ)، وأن الأعشى هو ابن أم مكتوم⁽⁷⁾.

ومن أبرز الروايات المتعلقة بسبب نزول هذه السورة ما رواه الترمذي في سننه عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – حيث قالت: ”أنزلت سورة عبس وتولى في ابن أم مكتوم، إذ جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قائلاً: يا رسول الله، أرشدني، وكان عند النبي (ﷺ) رجل من كبار المشركين، فكان الرسول (ﷺ) يعرض عنه – أي عن ابن أم مكتوم – ويقبل على ذلك الرجل، ويقول: هل ترى بأساً فيما أقول؟ فيرد الرجل: لا. فلهذا السبب نزلت السورة. وتوضح هذه الحادثة سبب نزول السورة الذي كشف عن المعاني الغامضة، فتبين لنا من هو الأعشى، ومن هو الذي استغنى. إذ إن سبب النزول يعد أهم ما يعين على تفسير الآية أو الآيات⁽⁸⁾.

« مكانة سورة عبس وفضائلها »

من خلال اطلاعي على العديد من المصادر والمراجع، لم أعثر على حديث صحيح وصريح يذكر فضل سورة عبس بشكل خاص. وإنما ما ورد حول فضلها يتضمن إما أحاديث ذات صيغة واضحة لكنها غير صحيحة، أو أحاديث صحيحة لكنها غير صريحة، إذ يمكنني القول بأنها عامة تشمل سورة عبس وغيرها. ومن ذلك ما روي عن واثلة بن الأسقع – رضي الله عنه – قال: قال النبي (ﷺ): ”أُعطيتم بدلاً من التوراة

⁶ () عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، "البيان" في عد أي القرآن، تحقيق غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ص264.

⁷ () محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، 2000، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص31-53.

⁸ () محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، 1976، تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة الثانية، البابي الحلبي للطباعة، ص5.

السبع الطوال، وبدلاً من الزبور المثين، وبدلاً من الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل " (9). وهذه السورة المباركة من سور المفصل الذي فضّل به النبي (ﷺ) على سائر الأنبياء.

« أهداف سورة عَبَسَ ومقاصدها

استمدّت سورة عبس أهدافها العظيمة من المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، فهي سورة ترسخ العقيدة السليمة من خلال إقامة الحجج على وحدانية الله تعالى عبر خلق الإنسان، والتأمل في طعامه وشرابه، وإثبات حقيقة البعث، وتصوير أهوال يوم القيامة. كما تؤكد على مبدأ المساواة بين الناس في الدعوة إلى الله، وتوضح كيفية توجيه الله تعالى لنبيه (ﷺ) ليراعي ترتيب الأولويات بين المصالح المختلفة، وتُلزم بضرورة التبصر والتدبر في دقائق الأمور. بالإضافة إلى ذلك، تشير السورة إلى شرف القرآن الكريم وتبين أنه موعظة لكل من تدبره بعقل وقلب مفتوح، وتُشيد بضعفاء المؤمنين وتوضح مكانتهم العظيمة عند الله مقارنة بأهل الكفر والضلال، كما تبين انقسام الناس في الآخرة إلى منعمين وأشقياء (10).

« الموضوع الرئيسي من سورة عَبَسَ

تدور الفكرة المحورية لسورة عبس حول تصحيح تصور الداعية بما يتماشى مع منزلة الدعوة وغاياتها، وكذلك "إعادة ضبط القيم الإنسانية" وتأسيس المبادئ الإسلامية التي تحدد قيمة الإنسان ومقامه. وتؤكد السورة أن قيمة الإنسان ترتبط بعمله وأخلاقه، ومدى اتباعه لتوجيهات الله تعالى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13] (11)

المبحث الثاني: العتاب في سورة عَبَسَ

بسم الله الرحمن الرحيم

{عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَزْكَى ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۚ فَأَن ت لَهُ تَصَدَّى ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى ۚ وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ وَهُوَ يَخْشَى ۚ فَأَن ت عَنْهُ تَلَمَّى ۚ} . [عبس: 1-10]

⁹ () سليمان الطاليسي، مسند ابي داود الطاليسي، 1998، الطبعة الاولى، مكتبة المعارف للطبع والنشر، الرياض، ص351.

¹⁰ () ابراهيم بن عمر البقاعي، مساعد النظر للأشراف على مقاصد السور، 1997، الطبعة الاولى، مكتبة المعارف، الرياض، ص157.

¹¹ () عبدالله محمود شحاته، اهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، 2009، الطبعة الاولى، جامعة الشارقة، ص34.

يُعدّ القرآن الكريم كلام الله الواحد، لا شريك له فيه من خلقه، وقد نزل بوحى إلهي محفوظ، لا يحمل بصمة بشرية ولا أثراً لتأليف مخلوق، مهما علا مقامه. ويتجلّى هذا بوضوح في مواضع متعددة من آياته، وتُعدّ سورة "عبس" نموذجاً جلياً لهذا النهج، فقد بدأت بمشهد توجيهي قوي، يبرز مدى عناية الوحي الإلهي بضبط سلوك الداعية، إذ تحمل هذه الآيات دلالات بلاغية وتربوية عميقة، تُظهر عظمة الرحمة الإلهية، وعدالة الخطاب الرباني، مما يجعلها مفتاحاً أساساً لفهم الرسالة الدعوية للسورة وأهدافها الكبرى.

وردت الروايات من طرق أهل السنة بأن الآيات نزلت في قصة عبد الله بن أم مكتوم الأعشى الذي دخل على النبي (ﷺ) بينما كان مشغولاً مع نفر من عظماء قريش يحدثهم بشأن الإسلام، فعبس النبي (ﷺ)، فعاتبه الله عز وجل بهذه الآيات. وفي بعض الأخبار الواردة من روايات الشيعة إشارة إلى هذا الحدث. كما ورد في بعض رواياتهم أن الذي عبس وأعرض لم يكن النبي (ﷺ) بل رجلاً من بني أمية كان حاضراً عند النبي، فلما دخل عليه ابن أم مكتوم عبس الرجل وأعرض بوجهه، فنزلت الآيات (12).

فمقصد السورة هو توجيه اللوم لمن يفضل الأغنياء وأصحاب الرفاهية على الضعفاء والمحتاجين من المؤمنين، فيرفع مكانة أهل الدنيا ويهمل أهل الآخرة. ثم ينتقل الحديث إلى الإشارة إلى ضعف الإنسان في خلقه وحاجته المستمرة إلى عناية الله وتدبيره، ومع ذلك يتمادى الإنسان في جحوده لنعم الله وعظيم تدبيره، ثم تنتقل السورة إلى ذكر البعث والجزاء تهديداً وإنذاراً.

وعلى ضوء ما تقدم سيتم مناقشة هذا المبحث في فرعين، حيث يتناول الفرع الأول آراء العلماء حول نسبة فعل العبوسة إلى النبي (ﷺ) وآراء الآخرين المنافين لذلك وإيضاحاً بيان أدلة كلا الطرفين. أما الفرع الثاني فسوف نسلط الضوء على تفسير أدلة العلماء ناسبي الفعل للرسول (ﷺ) و النافين عنه.

الفرع الأول: نسبة فعل العبوسة لرسول الله محمد (ﷺ) حسب آراء العلماء ودلائلهم

◆ تفسير صحيح البخاري

قوله: (عبس وتولى) (13)، لم يختلف السلف في أن الذي عبس هو النبي (ﷺ). وقال الداودي قولاً شاذاً فقال: المقصود بالكافر. وقد روى الترمذي والحاكم من طريق يحيى بن سعيد الأموي، ومن طريق عبد الرحيم بن سليمان، كلاهما عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: "نزلت الآيات في عبد الله بن

12 () علي بن محمد ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة"، 1995، تحقيق: عادل عبد الموجود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ص277.

13 () فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي العسقلاني، 773-852 هجرى، ص58.

أم مكتوم الأعشى، إذ قال: يا رسول الله أرشدني، وكان عند النبي (ﷺ) رجل من كبار المشركين، فأعرض النبي (ﷺ) عنه وأقبل على الآخر، قائلاً له: أترى بما أقول بأساً؟ فيجيبه: لا. فنزلت عبس وتولى، وقال الترمذي: حسن غريب. وقد روي عن بعضهم إرسالاً عن عروة دون ذكر عائشة. وذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن الذي كان النبي (ﷺ) يخاطبه هو أبي بن خلف. وأخرج سعيد بن منصور عن طريق أبي مالك أن المقصود أمية بن خلف. وذكر ابن مردويه عن حديث عائشة أنه كان يخاطب عتبة وشيبة ابني ربيعة. وروي من طريق العوفي عن ابن عباس أنهم كانوا عتبة وأبو جهل وعياش، وبذلك تتكامل الأقوال.

قوله: (تصدى: تغافل عنه)؛ جاء في رواية النسفي: "وقال غيره إلخ"، وسقط منها بعض الكلمات. وأورد أبو عبيدة في قوله تعالى: {فأنت له تصدى} أي: تعرض له، و{تلى}: أي تغافل عنه. والساقط من النص الأصلي هو لفظ "تتعرض له" و"تتلى"، وسيرد تفسير "تلى" بشكل أوضح لاحقاً، مع الإشارة إلى أنها مكتوبة بحذف إحدى التاءين، والأصل: "تتصدى" و"تتلى". وقد اعترض أبو ذر على ما ورد في البخاري قائلاً: إنما يقال: "تصدى للأمر" إذا أقبل عليه ورفع، أما "تغافل" فهو تفسير لكلمة "تلى". وقال ابن التين: قيل "تصدى": أي تعرض، وهو التفسير الأنسب للآية، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتغافل عن المشركين، وإنما صرف نظره عن الأعشى⁽¹⁴⁾.

◆ تفسير الرازي

يرى الرازي في تفسيره أن هذا التصرف نُسب إلى النبي الكريم، حيث يذكر: (المسألة الأولى: جاء عبد الله بن أم مكتوم — وأم مكتوم هي أم والده، واسمه الكامل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري، من قبيلة بني عامر بن لؤي إلى الرسول (ﷺ)، وكان النبي آنذاك جالساً مع أشراف قريش يدعوه إلى الإسلام، طمعاً في أن يؤدي إسلامهم إلى إسلام أتباعهم ومن تأثر بهم.

فقال ابن أم مكتوم للنبي (ﷺ): "عَلَّمَنِي وَاقْرَأْ عَلَيَّ مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ"، وكرر طلبه، فاستثقل النبي (ﷺ) مقاطعته لحديثه مع القوم، فانقبض وجهه وأعرض عنه، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁵⁾.

¹⁴ () عبد الله النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، ضبطه وخرج إياته واحاديثه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت.

¹⁵ () أبو عبدالله محمد بن عمر فخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 31، ص 52.

◆ تفسير الشيباني

ويقول محمد بن الحسن الشيباني: نزلت هذه الآية في ابن أم مكتوم، وكان رجلاً ضريباً يُدعى عُمر، إذ أتى إلى النبي (ﷺ) راغباً في الدخول في الإسلام، بينما كان النبي منشغلاً بحديث مع أمية بن خلف، وقيل إنه كان يتحاور مع عثمان بن عفان. فأبدى النبي (ﷺ) انزعاجاً في وجه ابن أم مكتوم، حيث عَبَسَ في وجهه، لا عن استعلاء أو تكبر، وإنما لأن الأعمى لم يُراعِ آداب المجلس، فاقتحم الحديث دون انتظار الفراغ منه، وكان الأليق به أن يصبر حتى يُتم النبي كلامه ثم يُخاطبه. لذا، أعرض عنه النبي (ﷺ) وظهرت الكراهة على وجهه، ثم عاد وأكمل حديثه مع الرجل الذي كان يُجالسه.

وقد وجّه الله تعالى العتاب إلى نبيّه الكريم بسبب هذا التصرف، إذ أنه أعرض عمّن جاء طالباً للهداية، وقطّب في وجهه، بينما الإعراض في مثل هذا السياق غير محمود، فنّه الله على ذلك⁽¹⁶⁾.

◆ تفسير الطبري

القول في تأويل قوله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى) يعني تعالى ذكره بقوله: (عَبَسَ) قبض وجهه تَكَرّها، (وَتَوَلَّى) يقول: وأعرض (أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) يقول: لأن جاءه الأعمى. وقد ذكر عن بعض القراء أنه كان يطوّل الألف ويمدها من (أَنْ جَاءَهُ) فيقول: (أَنْ جَاءَهُ)، وكأنّ معنى الكلام كان عنده: أأن جاءه الأعمى؟ عبس وتولى، كما قرأ من قرأ: (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) بمدّ الألف من "أَنْ" وقصرها. وذكر أن الأعمى الذي ذكره الله في هذه الآية، هو ابن أم مكتوم، عوتب النبي (ﷺ) بسببه.

◆ تفسير الطباطبائي

أما صاحب تفسير الميزان، فقد تناول في القسم الروائي عقب تفسيره للآيات الست عشرة من السورة، الرأي الأول، حيث أورد نص الطبرسي ثم ردّ عليه بقوله: (لقد عظم الله تعالى أخلاق نبيه حين قال قبل نزول هذه السورة: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"، وهذه الآية وردت في سورة "ن"، وهي السورة التي أجمعت الروايات المرتبة لنزول السور على أنها نزلت بعد سورة "اقرأ باسم ربك".

ككيف يُمكن قبول أن يثني الله على خلق النبي (ﷺ) في بداية بعثته بهذا الوصف المطلق، ثم يعود بعد ذلك ليوجّه إليه اللوم على تصرف سلوكي، كإقباله على الأغنياء رغم كفرهم، وإعراضه عن الفقراء رغم إيمانهم

وسعيمهم للهداية (17). ثم يذكر بعد ذلك الرواية المنسوبة إلى الإمام الصادق عليه السلام، والتي تُشير إلى أن الآيات نزلت في رجل من بني أمية.

◆ تفسير الطوسي

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: اختلف العلماء في الشخص الذي وصفه الله تعالى بتلك الأوصاف، فقد ذهب عدد كبير من المفسرين ومن أصحاب النزعة الحرفية إلى أن المقصود هو النبي (ﷺ)، مستدلين بذلك على حادثة ابن أم مكتوم، وما ورد فيها من إعراض النبي عنه.

ثم عقب الشيخ قائلاً: "وهذا الرأي غير صحيح"، وأشار إلى أن بعض العلماء يرون أن الآيات نزلت في رجل من بني أمية، كان واقفاً مع النبي (ﷺ)، فلما رأى ابن أم مكتوم مقبلاً، أبدى نفوراً منه، وقطب وجهه، وجمع ملامحه تعبيراً عن انزعاجه... إلى آخر الرواية (18).

◆ تفسير سعيد بن يحيى الأموي

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: (عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) قال: "بيننا (ﷺ) يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، وكان يتصدى لهم كثيراً، ويعرض عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعشى يقال له عبد الله بن أم مكتوم، يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرئ النبي (ﷺ) آية من القرآن، وقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله (ﷺ)، وعبس في وجهه وتولى، وكره كلامه، وأقبل على الآخرين؛ فلما قضى رسول الله (ﷺ)، وأخذ ينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره، ثم خَفَقَ برأسه، ثم أنزل الله: (عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى) ، فلما نزل فيه أكرمه رسول الله (ﷺ) وكلمه، وقال له: "ما حاجتك، هل تريد من شيء؟" وإذا ذهب من عنده قال له: "هَلْ لَكَ حَاجَةٌ فِي شَيْءٍ؟" وذلك لما أنزل الله: أَمَّا مَنْ اسْتَعْفَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَزَكِّي .

((أدلة القائلين بنسبة الفعل إلى النبي محمد (ﷺ)))

17 (العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 1996، ج20، ص203.

18 (محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج10، ص269.

الدليل الاول/ سبب نزول السورة المباركة

ورد في بعض الروايات أن هذه الآيات نزلت بشأن رسول الله (ﷺ) في الواقعة المشهورة، وكان أول من نقل هذه الرواية من علماء الشيعة هو الشيخ الطبرسي، حيث أوردتها في كتابه "مجمع البيان"، وفيه قال: ذكر أن الآيات نزلت في عبد الله بن أم مكتوم، واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري، من بني عامر بن لؤي، وذلك أنه جاء إلى النبي (ﷺ) بينما كان منشغلاً بمحادثة عتبة بن ربيعة، وأبي جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب. فقال: يا رسول الله، اقرأني وعلمني مما علمك الله، وظل يكرر طلبه، دون أن يدرك أن النبي كان مهتماً في الحديث مع أولئك القوم.

عندها ظهرت علامات الضيق والانزعاج على وجه النبي (ﷺ) لانقطاعه عن كلامه، وقال في نفسه: ربما يقول هؤلاء الزعماء إن أتباع محمد من العميان والعبيد، فعدل عنه، وأكمل حديثه مع أولئك المشركين، فأنزل الله تعالى هذه الآيات... إلخ⁽¹⁹⁾.

أما من جهة مصادر أهل السنة، فقد رويت هذه القصة عبر عدة طرق، فنجد أن المفسر جلال الدين السيوطي يقول في هذا السياق: "أخرج الترمذي - وحسنه - وابن المنذر وابن حبان والحاكم - وصححه - وابن مردويه، عن عائشة، أنها قالت: نزلت سورة عبس وتولى في ابن أم مكتوم، الأعمى، إذ أتى رسول الله (ﷺ) وقال له: يا رسول الله، دلني على ما فيه هدايتي، وكان عند النبي (ﷺ) أحد كبار المشركين، فانصرف النبي عنه، وأقبل على ذلك الرجل، وقال له: هل ترى بأساً فيما أقول؟، فقال: لا. فنزلت الآيات في ذلك".

ويواصل السيوطي قائلاً: كما أخرج ابن المنذر وابن مردويه عن عائشة نفس الرواية، لكنها أضافت أن في المجلس كان جمعٌ من وجهاء قريش، منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة.

ثم يضيف مرة أخرى: وقد روى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأبو يعلى عن أنس، أن النبي (ﷺ) كان يخاطب أبي بن خلف.

ثم يقول للمرة الثالثة: وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس، أنه قال: كان النبي (ﷺ) يناجي عتبة بن ربيعة، والعباس بن عبد المطلب، وأبا جهل بن هشام⁽²⁰⁾.

¹⁹ () الشيخ الطوسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج10، ص663-664.
²⁰ () جلال الدين السوطي، الدار المنثور في التفسير الماثور، ج6، ص364-365.

الدليل الثاني/ موضع ضمير المخاطب في سورة عَبَسَ

إن استخدام ضمير الخطاب في قوله تعالى: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي)، أو في قوله: (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) وأمثالها من المواضع القرآنية، يعدّ قرينة واضحة على أن الفاعل في قوله (عَبَسَ وَتَوَلَّى) هو النبي (ﷺ).

وبيان ذلك أن الآيات الواردة في هذا السياق القرآني تُوجّه صراحة إلى النبي، لأنه ﷺ هو المعني الأول بالخطاب الإلهي المباشر من خلال الوحي، أما سائر الناس فتصلهم الرسالة بواسطة النبي.

لذلك، فعندما يأتي ضمير المخاطب في النص القرآني، فإن المخاطب المقصود به أولاً وبالذات هو رسول الله (ﷺ). وبناءً على ورود هذا الضمير في الآيتين السابقتين، يتبيّن أن ضمير الغائب في الآية الأولى (عَبَسَ وَتَوَلَّى) أيضاً يعود إلى النبي، لأن السياق واحد ومتصل في جميع الآيات.

وقد أشار إلى هذا المعنى العلامة الشيخ محمد جواد مغنية، حيث قال (21):

“إن لهذا الرأي رجحاناً على الرأي الأول، وذلك بسبب وجود ضمير الخطاب “أنت”، الذي يفهم منه بحسب الظاهر أنه موجه إلى النبي (ﷺ).

وبالتالي، فإن الآيات التالية تكون تفسيراً وتوضيحاً لضمير الغائب الوارد في (عَبَسَ وَتَوَلَّى)، كما أن الالتفات من الغائب إلى المخاطب يُعزز هذا التفسير.”

((أدلة النافين لنسبة الفعل الى النبي محمد (ﷺ)))

بالاستدلال من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

يرى بعض العلماء أن من غير المعقول أن يصف الله نبيه الكريم بهذا الثناء العالي على أخلاقه، ثم يتبعه بتقريع أو لوم على سلوك غير لائق كـ “العبوس”، وهو تصرف ينافي الصفات الخلقية الفاضلة. خصوصاً أن الآية التي تمدح خلق النبي نزلت - حسب إجماع المفسرين - قبل سورة “عبس”. فلو نسبنا “العبوس” للنبي، لكان في ذلك تناقض مع وصفه بالخلق العظيم.

كما أن من غير المقبول أن يصدر من الرسول ﷺ هذا التصرف الجاف تجاه رجل أتى بقلب طاهر باحثاً عن الهداية، في حين يُقبل على زعماء قريش المعروفين بالقسوة والصدّ. فمثل هذا الموقف لو صدر من

(21) محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ج 7، ص 516.

شخص في منصب رفيع لاستنكره الناس، وكان الأجدر بالنبي أن يؤجل الرد على الأعلى بلطف بدلاً من تجاهله.

ولهذا يستبعد السيد المرتضى هذا الفعل عن النبي، مشيراً إلى أن الآيات تشير إلى شخص آخر غيره، لأن العبوس لا يليق بأخلاق النبي مع حتى أعدائه، فضلاً عن مؤمن مسترشد. ويؤيد ذلك قوله تعالى: "لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك" (22).

ومن خلال الدليل الروائي نجد ما يلي :

تؤكد بعض روايات أهل البيت أن الآيات نزلت في غير النبي (ﷺ). فورد في تفسير البرهان عن علي بن إبراهيم القمي أن الحادثة تعود لعثمان بن عفان، حينما تقدم ابن أم مكتوم في مجلس النبي، فعبس عثمان وتجاهله، فنزلت الآيات تنديداً بهذا التصرف.

وفي مجمع البيان، نقل الطبرسي عن الإمام الصادق عليه السلام أن رجلاً من بني أمية عبس وتولى حين رأى ابن أم مكتوم، فأنكر الله عليه ذلك.

وايضاً بدء السورة بضمير الغائب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ يُشير إلى أن المخاطب ليس النبي، لأن أسلوب القرآن حين يوجه اللوم للنبي ﷺ يكون مباشراً لا بالغيبة. وقد أشار إلى ذلك العلامة الطهراني، متسائلاً: هل يُعقل أن يشكو الله إلى نبيه من نفسه؟ بل الظاهر أن الحديث عن شخص آخر يذمه الله أمام نبيه (23).

الفرع الثاني : تفسير ادلة كلا الطرفين

بعد التطرق ومعرفة رأي الطرفين الناسي لفعل العبوسة للنبي (ﷺ) والنافين له، سنناقش في ما يلي الآراء والادلة على ذلك :

الصورة الاولى: المناقشة الدلالية للرواية تُعرض هذه المناقشة من خلال جانبين، أولهما أن مضمون الرواية من حيث المعنى لا يصح، خصوصاً من جهة نقلها لدى أهل السنة، إذ يظهر الاضطراب في متنها بوضوح، بسبب تعدد صيغ الرواية (24).

يرتكز التباين في المتن حول الأشخاص الذين كان النبي (ﷺ) يخاطبهم عند مجيء ابن أم مكتوم، حيث تختلف الروايات في أسمائهم وعددهم. وقد أشار السيد البلاغي إلى هذا التناقض، مبيناً أن بعض

22 () كلام السيد المرتضى منقول من كتاب مجمع البيان للشيخ الطبرسي، ج 10، ص 664.

23 () محمد طهراني، الفرقان في تفسير القرآن، ج 30، ص 110.

24 () الشيخ محمد البلاغي، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء الاول، ص 193.

الروايات تذكر أن النبي كان يخاطب أحد كبار المشركين، وأخرى تقول إنه كان في مجلس مع وجوه قريش، مثل أبي جهل وعتبة وشيبة، كما تنوعت الروايات بين ذكر العباس وأمية بن خلف وآخرين، مما يدل على اضطراب واضح يلقي بظلال من الشك على صحة الرواية.

وقد يُقال إن اختلاف الأسماء لا يضعف الرواية، لأن المقصود الأساسي هو تصوير الحدث الذي أدى لنزول الآيات، وهو تجاهل النبي لابن أم مكتوم أثناء حديثه مع المشركين. لكن يُرد على ذلك بأن عدد الحضور كان قليلاً ومشهورين، ما يجعل نسيان أسمائهم مستبعداً، وبالتالي فإن هذا التفاوت يضعف الرواية من حيث الدقة والثبوت⁽²⁵⁾.

الصورة الثانية: تعارض الرواية مع أخلاق النبي (ﷺ)

تتناهى هذه الرواية مع ما هو ثابت من سمو أخلاق النبي محمد (ﷺ) وصفاته الكاملة، إذ لا تنسجم مع ما عُرف عنه من رقي التعامل وحسن الخلق. فحتى مع محاولات تفسيرها وتبريرها، يبقى مضمونها بعيداً عن شخصية الرسول (ﷺ).

فالنبي، كما ذكر سابقاً، كان بإمكانه أن يطلب بلطف من ابن أم مكتوم الانتظار حتى يتم حديثه مع المشركين. لكن الرواية تُصوّره في موقف لا يليق به، إذ تنسب إليه أنه عبس نتيجة خواطر داخلية، كقوله في نفسه إن المشركين قد يعيبون عليه اتباع العميان والعيبد. وهذه الفكرة لا تليق بمقام النبوة.

كما أن وصف الراوي للمشركين بكلمة "الصناديد"، التي توحى بالاحترام، يثير الشك في مصداقية الرواية، وقد يشير إلى كونها موضوعة.

وقد أشار الإمام الفخر الرازي إلى هذا التعارض، إذ رفض هذه الرواية لأنها من أخبار الآحاد، وأكد أنها تخالف ما هو معروف عن النبي، من أنه لم يكن عبوساً حتى مع أعدائه، فكيف بمؤمن فقير يسعى للهداية؟ كما أن الرواية تصفه بتفضيل الأغنياء على الفقراء، وهو أمر لا ينسجم مع سيرته وأخلاقه⁽²⁶⁾.

الصورة الثالثة: روايات تنسب سبب النزول للنبي (ﷺ) بشكل غير مباشر

من بين هذه الروايات، ما يُنقل عن النبي (ﷺ) أنه بعد نزول الآيات صار يكرم ابن أم مكتوم ويقول عند رؤيته: "مرحباً بمن عاتبني فيه ربي..."، وهذه الرواية غير معتبرة، لأنها وردت ضمن سياق رواية تتحدث

²⁵ (المصدر نفسه).

²⁶ (الفخر الرازي، عصمة الانبياء، ص108).

عن نزول الآيات، كما ذكر الشيخ الطبرسي وبعض رواة أهل السنة، ولم تُنقل كحديث مستقل، لذا فهي تخضع لنفس النقد السندي الموجه للنوع الأول من الروايات.

أما الرواية الأخرى المنسوبة للإمام الصادق عليه السلام، والتي يقول فيها إن النبي كان إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال: "مرحبًا ، والله لا يعاتبني الله فيك أبدًا"، فهي - بغض النظر عن الإشكالات السندية - لا تدعم الرأي القائل بحدوث العتاب الإلهي، بل تشير إلى نفيه من الأصل. ولو قال النبي: "لا يعاتبني الله فيك مرة أخرى"، لكان في ذلك تأييد ضمني للرأي الأول، لكن الصيغة الحالية تنفي وقوع العتاب أصلاً.

وقد علّق السيد جعفر مرتضى على ذلك بقوله: إن الرواية تنفي صدور أي تصرف من النبي (ﷺ) يوجب العتاب، وإن تحريف بعض الألفاظ لاحقاً جعلها تُفهم خطأً على أنها تشير إلى حدوث العتاب، مع أنها في الأصل تؤكد براءة النبي من ذلك (27).

الصورة الرابعة : مناقشة الاستدلال بضمير الخطاب

الدليل الثاني الذي استُند إليه في تفسير الآيات، هو أن ضمير المخاطب بعد قوله تعالى: "عَبَسَ وَتَوَلَّى" يعود إلى النبي محمد (ﷺ)، باعتباره المخاطب الأساسي بالوحي. ولكن يُرد على هذا الاستدلال بأن من غير المنطقي تفسير بداية الآيات بالاستناد إلى ما بعدها، إذ يمكن القول إن "عبس وتولى" تشير إلى شخص آخر، وأن الله يخبر نبيه عنه، ثم انتقل السياق القرآني إلى المخاطبة - وهو أمر مألوف في أسلوب القرآن، كما أشار الشيخ الطوسي في تفسيره لقوله تعالى: "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي" على أنه خطاب موجه للنبي، وبتقدير "قل يا محمد...".

الصورة الخامسة : مناقشة دليل الاستبعاد

يُستبعد أن يكون النبي (ﷺ) هو المقصود بالعبوس، لأن فعله لم يكن معصية أو مكروهاً، ولا حتى تركاً للأفضل، بل كان بدافع المصلحة الإسلامية، إذ رأى أن دعوة كبار المشركين أولى لأنها قد تؤدي إلى دخول الكثيرين في الإسلام، بينما كان بالإمكان تأجيل إجابة أسئلة ابن أم مكتوم.

وقد أكد هذا المعنى الشيخ محمد جواد مغنية، موضحاً أن النبي أراد استغلال الفرصة لدعوة زعماء قريش للإسلام، وهو أمر أهم من تعليم الأحكام الذي يمكن تأجيله، لأن دخول الكافر في الإسلام أمر مضيق لا يحتمل التأخير، بخلاف تعليم المسلم. ورغم صواب موقف النبي، إلا أن ظاهر الموقف قد يُفهم

(27) السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، الجزء الثالث، ص 161-162.

خطأً على أنه تفضيل للأغنياء، مما قد يسبب أماً للفقراء، فجاء العتاب لرفع هذا الإيهام، كما أوضح الفخر الرازي.

الصورة السادسة: احتمال أن العتاب موجّه للمشركين

ورد رأي آخر أن الآيات لا تعاتب النبي، بل تدم المشركين الذين أقبل عليهم، مشيرة إلى أنهم لا يستحقون هذا الاهتمام، وأن الإسلام سينتشر رغم عنادهم، كما بين الشيخ مغنية.

ولكن... يبقى أن أسلوب العتاب في الآيات شديد، مما يوحي للقارئ العادي بأن الخطاب موجه لمن ارتكب خطأ، وهو ما يجعل الردود السابقة غير كافية لتفسير شدة التعبير في النص القرآني.

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث يتبين أن العتاب في سورة عبس لم يكن بسبب ذنب أو معصية من النبي (ﷺ)، بل كان توجيهًا رقيقًا مرتبطًا بحرصه الشديد على دعوة صناديد قريش. وإن كان ناتجًا عن اجتهاده في تقديم مصلحة الدعوة، قد يفهم منه تفضيل أهل الثراء، وهو ما لا يليق بمقام النبوة؛ لذا جاء العتاب بلغة الغائب، تكريماً له وتلطفاً به. لم يتلفظ النبي (ﷺ) بما يسيء لعبد الله بن أم مكتوم، ولم يظهر له ما يجرح مشاعره، خاصة أنه كان أعى ولم ير العبوس. العتاب هنا تعليم للأمة، لا لوم على النبي، بل تأكيد على عظمة مقامه وسماحة أخلاقه.

ومن اهم النتائج التي توصلت اليها :

(1) لم أقف على رواية صحيحة وواضحة تخص فضل سورة عبس تحديداً، إذ إن ما ورد في هذا الشأن إما نصوص واضحة لكنها غير موثوقة من حيث السند، أو روايات صحيحة من جهة السند لكنها عامة تشمل سوراً أخرى أيضاً، وليست خاصة بسورة عبس. إذ بعد مراجعة الأدلة المقدمة لكل من الرأيين ومناقشتها، اتضح أنه لا يوجد ما يمكن الاعتماد عليه بشكل قاطع لإثبات أحدهما، مما يوقع الباحث في حيرة من أمره في ترجيح أحد الاتجاهين.

(2) من الثابت أن النبي (ﷺ) لم يُخف شيئاً من الوحي، ولو كان ذلك ممكناً لأخفى الآيات التي تضمنت توجيه العتاب له، وهي تُظهر ما كان الأولي تركه، مما يؤكد صدقه وأمانته في تبليغ القرآن كاملاً دون تحريف أو كتمان.

(3) ورود كلمة "عبس" ومشتقاتها في ثلاث سور مكية ذات طابع دعوي يعكس عمق البُعد الرسالي في شخصية النبي (ﷺ)، فالسمة الأساسية في سيرته هي أنه قائد ونبي ومُبلِّغ لدعوة الله.

4) إن العتاب الذي ورد في سورة عبس وُجِّه إلى النبي (ﷺ) بصيغة الغائب، وهو أسلوب بليغ يلفت النظر، وله دلالات تربوية وبلاغية عميقة، منها: مراعاة مشاعر النبي (ﷺ)، وعدم مواجهته مباشرة بالعتب مراعاة لمقامه الشريف، وتدرجاً في التوجيه كي لا يكون العتاب مفاجئاً أو ثقیلاً على النفس، كما يُعد هذا الأسلوب تكريماً له من ربه، وصوناً لهيبته وكرامته.

5) نسبة هذا الفعل إلى النبي (ﷺ) دون دليل موثوق يُعد أمراً غير مقبول، وبالتالي فلا موجب للبحث في تبرير هذا الفعل على افتراض صدوره من النبي. وعند هذا الحد، يزداد احتمال أن من صدر منه الفعل هو شخص آخر، لأن الواقع لا يخلو من أحد هذين الاحتمالين.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- ابو عبدالله محمد بن عمر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، 2005، الطبعة الثالثة، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- 2- إبراهيم بن عمر البقاعي، مساعد النظر للأشراف على مقاصد السور، 1997 الطبعة الاولى، مكتبة المعارف، الرياض.
- 3- الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، الجزء العاشر، 1990.
- 4- الشيخ محمد جواد البلاغي، الهدى الى دين المصطفى، الطبعة الثالثة، الجزء الاول، منشورات مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، بيروت، 1985.
- 5- الشيخ محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، الطبعة الاولى، دارالكتاب الاسلامي، 2005.
- 6- السيد جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الاعظم (صلّى الله عليه وآله)، الجزء الثالث، الطبعة الرابعة، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 1995.
- 7- السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الخامسة، الناشر: دفتر انتشارات اسلامي جامعة مدرسين حوزه علمية، قم، 1996، ج20.
- 8- جلال الدين السوطي، الدار المنثور في التفسير الماثور، ج6، مكتبة آية الله السيد المرعشي، قم، 1984.
- 9- سليمان بن الاشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين، كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، دار السلام للنشر، 2008، بيروت.

- 10- سليمان الطاليسي، مسند أبي داود الطاليسي، 1998، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للطبع والنشر، الرياض.
- 11- عبد الحق بن غالب ابن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
- 12- عبد الله النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، ضبطه وخرج آياته واحاديثه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، 1998، بيروت.
- 13- علي بن محمد ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، 1995، تحقيق: عادل عبد الموجود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 14- عبدالله محمود شحاته، اهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، 2009، الطبعة الأولى، جامعة الشارقة.
- 15- عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، "البيان" في عد آي القرآن، تحقيق غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى، مركز المخطوطات والتراث، 1994، الكويت.
- 156- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: احمد بن علي العسقلاني، 773-852 هجرياً.
- 17- فخر الدين الرازي، عصمة الانبياء، دار الثقافة العربية للطباعة، القاهرة، 1964.
- 18- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والطباعة، 1984.
- 19- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، تحقيق: يوسف الغوش، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة، 2005.
- 20- محمد بن الحسن الشيباني، نهج البيان عن كشف معاني القرآن، الطبعة الأولى، دار معارف اسلامي، طهران، 1995، ج5.
- 21- محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، الجزء العاشر، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1963.
- 22- محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، 2000، الطبعة الثالثة، دار احياء التراث العربي، بيروت.

- 23- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، 1976، تحقيق: احمد شاكر، الطبعة الثانية، البابي الحلبي للطباعة.
- 24- محمد بن حبيب السبزواري، إرشاد الازهان الى تفسير القرآن، ط1، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1999.
- 25- محمد صادق طهراني، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، الطبعة الثانية، الناشر: انتشارات ناصر خسرو، 1953.